

التهودية بين شاؤول تشيرنخوفسكي وهند بنت عتية (دراسة مقارنة في المضمون الشعري وأثره)

إيمان "محمد أمين" خضر الكيلاني*

ملخص

يدرس هذا البحث التهودية⁽¹⁾، وهي الأغنية الأولى الموجهة من الأم إلى ولدها، ويشير إلى أهميتها في التأثير في لاوعيها، فتشكل شخصيتها، وتوجهه إلى منظومة معينة من المبادئ والقناعات والسلوكيات، التي تؤدي دورها في رسم مستقبله كما يراد له أن يكون.

ويعرض البحث نموذجين مقارنين لمستقبل أريد له أن يكون من خلال التهودية فكان:

- أما الأول فهو للطفل اليهودي الذي وُجّه وجهة سياسية خاصة، فكان الحلم الأول الذي لفته شاعر الصهيونية الأول شاؤول تشيرنخوفسكي من أوديسا بروسيا حيث سقط رأسه، إلى الطفل اليهودي؛ ليكون صهيونياً، مؤمناً بالصهيونية شعاراً، راسماً له مستقبله، محدداً له وجهته السياسية، واعداداً إياه بإقامة وطن على السهل الساحلي وبالأردن خاصة، مبنياً له طريق تحويل هذا الحلم إلى حقيقة واقعة، فكان له ما أراد بعد حوالي إحدى وخمسين سنة من تاريخ هذه القصيدة، حقق الأطفال الصهاينة - حين صاروا رجالاً - حلمه على الرغم من بعد الزمان والمكان.

- وأما الثاني فمن الشعر العربي، من أدب يعرف عند أجداننا بالترفيص⁽²⁾، يُحمّله المُرْفَعُ آماله وأحلامه في الوليد، وما يتمناه له في المستقبل، مما توحى له فراسته فيه.

إنه حلم امرأة من حرائر قریش وجهت ولدها منذ نعومة أظفاره لا ليسود قومه فحسب، بل ليسود العرب جميعاً، إنها هند بنت عتية التي لفته هذا الحلم وهي ترقصه، فزرعت فيه قيم الرجولة والبطولة من منظور قبلي عربي أصيل، تلك القيم التي من شأنها أن تؤدي إلى تحقيق الهدف المنشود بتهويدة للمجد، وقد تحقق ما أرادت، فصار ملكاً للعرب.

وعليه فإن هذا البحث يبحث في المضمون الشعري، ودور الأدب الملتزم في التأثير في لاوعي الفرد، أو في اللاوعي الجمعي من خلال المقارنة بين النموذجين موضع الدرس.

الكلمات الدالة: التهودية: التزفية، الأغنية التي تغنى للطفل في المرحلة الأولى من عمره لتتويمه أو ترقصه، المضمون الشعري، الأدب الموجه، اللاوعي.

وتكمن خطورة هذا النمط وأهميته عندما يوجه إلى الأطفال، وخاصة في مرحلة الطفولة الأولى، عندما يتلقاه أغنية تتردد على أسماعه، وتتردد في دماغه، فتترسخ في لاوعيها، وتتغرز في أعماقه.

والتهودية هي شكل من أشكال اللعب الذي يهدف إلى تنمية شخصية الطفل. واللعب في مرحلة الطفولة المبكرة من أهم مجالات التعلم والنمو باعتباره منخلاً لنشاط الطفل في هذه المرحلة، كما أن اللعب ينمي القدرات الإبداعية لديه⁽³⁾. ففيها تبدأ حاجات الطفل، وحالاته النفسية، ووزعته الانفعالية، وعلاقاته الاجتماعية بالحبيوية والتطبع، وفي هذه المرحلة يتكون نموه اللغوي ومحصولة اللغوي، وتتكون منظومته اللغوية النامية بصورة سليبية فطرية، ويجهز ذاتي داخلي، مع التأثير الشديد بما يحيط به من حيث اللغويين ولغتهم⁽⁴⁾.

تمهيد

دور اللغة والأدب في التكوين النفسي والسلوكي للطفل

مهما تجادل النقاد والباحثون فإن للأدب رسالة يودونها من أجل التأثير في سلوك الفرد والمجتمع، وذلك بأن ينقل بقدرته الإبداعية ما كان فعلاً، أو ما هو كائن، أو ما يريد له أن يكون، والأخير هو أخطر أنواعه وأهمها؛ لأنه يصنع المستقبل وقيمه، ويصوغه بتوجيه الفرد والمجتمع إليه، فهو أدب مُوجّه، يكرس قيماً وينسف أخرى، يبني مبادئ ويهدم أخرى، سلباً أو إيجاباً وفق ما يريد الأديب، وحسبما يعتقد، سواء على الصعيد الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي... الخ.

* الجامعة الهاشمية، الزرقاء، الأردن. تاريخ استلام البحث 2008/1/21، وتاريخ قبوله 2009/3/8.